## الطاعون

قامت البلاد المصرية وقعدت في هذه الايام لخبرٍ فاجأ القطر من جهة الاسكندرية يحقق ظهور الوبآء في ذلك الثغر منذ اواخر الشهر الغابر. ألا وهو النبأ الذي ارتعدت لهُ المفاصل وهلعت القلوب لقدوم هذا الزائر المشؤوم الذي لم تنسَ مصر ما كان لهُ فيها من الفتك الذريع فيما مضى ولا تزال تقشعرّ الابدان لِما يرد علينا من انبآئهِ في الهند وما بسط على اقطارها من اجنحة الفنآء ودمّر في ارجآئها من المدن الغنآء . وكيف لا وهو العدوّ الذي لا يُعرَف ايّ طريقٍ يسلك ولا بأيّ سلاحٍ يقاوَم والذي اذا وطئ ارضاً قضى فيها الفصل بعد الفصل والعام بعد العام فتجدّد فيها مع الاعقاب ولم يفارقها الا وهي يباب

وقد كان اول ما ظهر من أشراط الدآء على ما جآء في جرائد الثغر في الرابع من الشهر الغابر وقد اصيب رجلٌ يونانيٌّ بما يشبه اعراض الطاعون فعُزل من منزلهِ بالهماميل الى المستشفى اليوناني الا ان الاعراض لم تكن واضحة فبقي الامر مشكوكاً فيهِ ولبث تحت حجاب الكتمان الى ان كان اليوم السابع عشر من الشهر فأصيب رجلٌ آخر من اليونان بالاعراض نفسها فعُزل ايضاً من منزلهِ بشارع السبع بنات الى المستشفى المذكور وتواترت الاصابات بعد ذلك والاطبآء بين مثبتٍ للدآء ونافٍ لهُ حتى بلغت في اواخر الشهر عشر اصابات فثبت لهم بتكرار الفحص والمراقبة ان الاعراض اعراض الطاعون بنفسها وايد ذلك ما عاينوهُ من جراثيمهِ الخاصة مما لم يبقِ موضعاً للريب



أما طريق انسلالهِ الى القطر مع ما بُذل في منعهِ من التحوطات والنفقات فقد اختلفت فيهِ الاقاويل ولا يبعد انهُ كان من الثلمة التي حدثت في محجر عيون موسى بفرار ثلاثة من رجال الانكليز الوافدين من الهند ودخولهم القطر على الجمال وذلك قبل الاصابة الاولى التي حدثت في الاسكندرية بنحو نصف شهر . وقد افاضت الجرائد في ذلك عند حدوثهِ وتوقعت ورآءهُ شرًّا كبيراً ثم درجت على اثرهِ الايام الى ان تنوسي الامر اوكاد وأمل الكثيرون ان ينقضي على غير تبعةٍ تخشى فلم يفلح الامل ولم يكذب الحذر ومضى القضآء في وجهتهِ وظهر الدآء واصبح القطر كلهُ في قبضة الخطر يتهددهُ كل ساعة واصبحنا في موقفٍ لا واقي منهُ الا رحمة الله والله لطيفٌ بالعباد

وقد بلغت الاصابات في الاسكندرية الى يوم كتابة هذا الفصل (١٢ يونيو) ٢٤ اصابة توفي من اصحابها ٧ وشفي ٦ والباقون تحت المعالجة، والظاهر ان الدآء قد تناول اكثر احيآء الاسكندرية مما يدل على ان الذرائع التي اتخذتها الحكومة لحصرهِ كانت غير كافية وفوق ذلك فان الصلات بين الاسكندرية وسائر جهات القطر لا تزال على عهدها بحيث ان طريق الدآء ممهدٌ الى كل ناحيةٍ من نواحيهِ على حين قد أُعدّ لهُ في كل بلدةٍ يؤمّها مرعًى خصيب من الاقذار المنتشرة في الازقة والمنازل بحيث ينزل على الرحب والسعة . وما زالت الجرائد تصدر كل يومٍ وهي غاصةٌ بالتنبيه والتحذير وتحريض اولي الامر ان يتداركوا هذا الخطر العميم بتوجيه العناية الى ازالة تلك الاقذار التي لا تلبث ان تصير باسرها طاعوناً ينتشر في سمآء

القطر وارضهِ ويجتاح ارواح الالوف المؤلفة من سكانهِ ورجال الحكومة لا يزيدون ذلك النداء الاّ تصاماً واعراضاً حالة كونهم يرون البلاء واقفاً بالمرصاد وقد صار اقرب الى النفوس من حبل الوريد. وقد قلقت حكومات اوربا باسرها خوفاً من تخطي الوباء الاسكندري اليها وتأهبت لصدّهِ ومقاومتهِ وحكومتنا متقاعدةٌ عنهُ حتى اعجزها حصرهُ في حيٍّ من احياء الاسكندرية فما الظن بحصرهِ في مدينة الاسكندرية نفسها. بل هي قد استسلمت للبلاء واهملت حتى التفتيش الصحي على القادمين من الاسكندرية الى سائر مدن القطر وهو اقل ما تتخذهُ الحكومات من الذرائع في مثل هذه الاحوال واخذت من اليوم تستعدّ لتفشيهِ في البلاد فأعدّت لهُ في العاصمة مكاناً مخصوصاً في العباسية لنقل المطعونين اليهِ ولعلها قد اعدّت اناساً مخصوصين لدفن من يموت بهِ ... عظَّم الله اجر حكومتنا في رعاياها وجعل كل من يموت منهم فدًى عنها

***

بقي انهُ اذا كان هذا مبلغ ما عند الحكومة من الاهتمام بوقاية البلاد من شر الوباء فلا اقلّ من ان يحتاط كل فرد لنفسهِ بما تفرضهُ القوانين الطبية والصحية على قدر ما يستطاع اليهِ السبيل . وقد اقترحنا على حضرة النطاسيّ الشهير الدكتور شبلي شميل اجابةً لطلب كثيرين من قرآء الضيآء كتابة فصل في هذا المعنى يلخص فيهِ وصف الداء وطرق انتشارهِ ووجوه الوقاية منهُ فلبى الى ذلك بما طُبع عليهِ من الغيرة والاريحية وما عُرف بهِ من خدمة الانسانية وهذه صورة ما تفضل علينا بهِ قال حفظهُ الله



## ﴿ الطاعون ﴾

الطاعون مرضٌ قديمٌ جدًّا من امراض العالم القديم وقد ورد ذكرهُ في كتب ابقراط وفي سياق حكايةٍ طويلة لم يذكر فيها سوى هول المرض وانقضاضهِ على بلاد الفرس واستغاثة ملك الفرس بهِ ورفضهِ اغاثتهُ ولكن لم يُذكر فيها شيءٌ من اعراضهِ الفارقة. ولعلهُ في الاصل اسمٌ للوباء على الاطلاق وقد عرَّفهُ ابن سينا انهُ اسمٌ كان يطلق في الاصل على كل ورمٍ غُدّي ثم قيل مع ذلك لما كان منهُ قتّالاً قال « وأسلم الطواعين ما هو احمر ثم الاصفر والذي الى السواد لا يفلت منهُ احد والطواعين تكثر في الوباء وفي بلاد وبيئة » وهو اليوم اسم لمرضٍ عفنيّ حُمّيّ مستوطن في بعض الجهات ووافدٌ في البعض الآخر

وقد كان الطاعون كثير الانتشار جدًّا في العصور القديمة وانقضَّ على اوربا في العصور الوسطى وعاث فيها كثيراً وكان مستوطناً في مصر حتى عُدّت مصر منشأً لهُ وبقي كذلك الى سنة ١٨٤٥ وانحصر في الشرق الاقصى حيث يثور ويهجع منقطعاً من جهة ليظهر في غيرها وانتقل منهُ مراراً الى جهات أُخرى كبلاد ما بين النهرين وبلاد العجم وبعض الجهات في روسيا وقد ظهر في الهند في المستعمرات الانكليزية من نحو اكثر من سنتين ولا يزال في بمباي حتى اليوم

وبعد ان غاب خمساً وخمسين سنة عن مصر عاد فظهرت منهُ بعض حوادث في اوائل الشهر الماضي في الاسكندرية وحتى كتابة هذه الاسطر لم يتجاوز عددها حوادث معدودة والارجح انهُ اتاها منتقلاً من الهند ولكن كيفية ذلك

لم تعلم جيّدًا . ويظن انهُ انتقل اليها مع البضائع لا مع الناس

وكان القول سابقاً ان الطاعون مرض غير معدٍ وانهُ من الامراض الميازمية وهذا كان مذهب كلوت بك ومن تبعهُ من الاطبآء الفرنساويين في ذلك العهد . والجمهور بعدهُ على انهُ مرضٌ معدٍ شديد العدوى حتى ان العامة في مصر كانوا يعتقدون ذلك ويتقونهُ باجتناب مخالطة المطعونين والعزلة في بيوتهم وحتى ان الدول في كل الجهات اقاموا في الماضي المحاجر لضرب الحجر على جميع الصادرات وعلى الناس الآتين من بلادٍ موبوءة . ولكن سرَّ العدوى لم يعلم جيّدًا الا من بضع سنين والفضل في ذلك لواحدٍ من المتخرجين في معمل بستور اسمهُ يرسين فانهُ اكتشف في الطاعون الذي فشا في هنكنغ من بلاد الصين في سنة ١٨٩٤ مكروباً ظهر من الامتحانات الكثيرة انهُ سبب هذا الدآء الوبيل وجآءت ابحاث كيتازاتو في ذلك العهد موافقةً لذلك ايضاً واليوم لم يبقَ شكٌّ في ان مكروب يرسين هو مكروب الطاعون الخاص بهِ

فالعدوى اذًا هي انتقال مكروب هذا الدآء من مريض الى صحيح ومن بلادٍ وبيئة الى بلاد سالمة من الوبآء فلا بدَّ في العدوى اذًا من مخالطة المريض او ملامسة ما لامسهُ

وكان يُظَنُّ ان العدوى تتم بانتقال سم المرض بالهوآء ونفوذهِ الجسم عن طريق المسالك الهوآئية وهذا القول وان لم يكن عندنا ما ينقضهُ فليس لنا ما يثبتهُ واذا كان للهوآء شأنٌ في نقل العدوى فقد يكون ذلك بما ينقلهُ من الغبار العالق بهِ شيءٌ من مكروب هذا الدآء فيلقيهِ على سطح



الجلد والغشآء المخاطي للفم والانف فاذا كان فيهما سحج او جرح او اي تفرُّق اتصال اختمر هناك وتكاثر ونفذ الى باطن الجسم كما يحصل في التلقيح اذ ثبت اليوم من الامتحانات الكثيرة ان هذا الدآء لا ينتقل الى سليم الاَّ بالتلقيح

وهو لا ينتقل عن طريق القناة الهضمية كسائر الامراض المعروفة لانهم امتحنوا ذلك بأن أطعموا بعض الحيوان الذي يفتك بهِ الطاعون فتكاً ذريعاً كالفيران من مستنبتات مكروب الطاعون فلم يُصَب بهِ . وعليهِ فاذا كان للطعام شأن في احداث العدوى فيكون ايضاً من وجود قروح او جروح في الغشآء المخاطي للفم والحلق تتلقح بهِ . وكذلك لا ينتقل بالشراب لان هذا المكروب لم يوجد في المآء بل بالضد من ذلك وجدوا ان الذين كانوا مقيمين في السفن والمراكب في الانهر او البحار في وقت الطاعون نجوا منهُ

ومما يساعد على التلقيح قرص الحيوانات الحلمية كالذباب وخصوصاً البراغيث فانهم جعلوا اليوم لهذه الحيوانات الصغيرة شأناً كبيراً في نقل العدوى

ومن الحيوانات التي يعرض لها الدآء الفيران حتى لقد يسبق انتشار الطاعون بين الناس موتانٌ كثيرٌ فيها وقد عرفوا ذلك في الشرق الاقصى حتى اذا رأوهُ تركوا مساكنهم وفرُّوا هاربين

وبدرس طبائع هذا المكروب عرفوا انهُ يحبّ الرطوبة القليلة والحرارة اللطيفة ولا يقوى على البرد الشديد ولا على الحرارة الجافَّة ولو لم تتجاوز ٨٠° ومزيلات الفساد كلها تهلكهُ ولو ضعيفة فهو من هذه الحيثية اضعف من سائر المكروبات المرضية المعروفة مما يجعل الوقاية منهُ أسهل من الوقاية

منها. وهو يحبّ جدًّا القذارة ولذلك كان كثيراً في المدن القذرة والاماكن الفاسدة الهوآء التي يتراكم فيها الناس وبين الفقرآء وقلّما يعرض في الجهات النظيفة المساكن والسكان

واعراض هذا الدآء حمّى قد تكون شديدة جدًّا وقد تكون خفيفة للغاية وتتبعها اعراض عمومية نظيرها يعقبها ظهور اورام في غُدَد الأُربيَّة او الابط او العنق تسمى دُبيلات وغالباً تكون وحيدة. وقد تظهر جمرات وفلغمونات في اقسام اخرى من البدن اذا طالت مدة الدآء وكان شديداً وغالباً تهبط الحمّى اذا تقيّحت الدُبيلة وقد يدل ذلك على انكسار حدّة المرض ولكن يجوز ان تشتدّ الاعراض العمومية بعد ذلك أيضاً وتنذر بسوء المصير

والعلاج لا تختلف مدلولاتهُ عنها في علاج سائر الامراض الوبيلة اي العفنية ويناط امرهُ بالطبيب المداوي. على انهم بعد اكتشاف مكروب هذا المرض حاولوا ان يوجدوا لهُ علاجاً خاصًّا بهِ كما اوجدوا ذلك للدفثيريا فاكتشفوا مصلاً زعموا انهُ يشفي من الدآء وجروا في استحضارهِ على طريقة استحضار مصل الدفثيريا باستنبات المكروب في اجسام الخيل والظاهر ان نفع هذا المصل لم يثبت كما ثبت لمصل الدفثيريا. ومهما يكن فهو العلاج الاصوب في علاج هذا الدآء وسائر الادوآء الخاصَّة لانهُ هو الطريقة التي تسير عليها الطبيعة في شفآء العلل وسيكون لهذا العلاج شأنٌ عظيمٌ في المستقبل لكن الصعوبة هي في الاهتدآء الى كيفية استحضار المصل وهذا تتكفل بهِ التجارب في المستقبل وهو اعظم اكتشاف في هذا العصر والعصور السابقة في علم العلاج والفضل فيهِ لبستور الفرنساوي وتلامذتهِ



وقبل ان نختم الكلام في هذا المرض لا بدَّ لنا ان نتكلم عن الوقاية منهُ وهي كالوقاية من سائر الامراض الوبآئية تقوم بالعزلة اي عزلة المكان وعزلة السكان لمنع كل اتصال مع البلاد الموبوءة ومنع مخالطة الاصحآء للمرضى بل هي اسهل منها لضعف مكروب الطاعون عن المقاومة كما علمت مما مضى. ولا ريب ان النظافة الحقيقية اعظم وسائل هذه الوقاية ويراد بها نظافة المدن ونظافة المساكن ونظافة السكان والأرجح انهُ لا خوف الآن على مصر من انتشار هذا الدآء لان قلة الحوادث وعدم تفشيها من عهد ظهورها وسلامة المصابين غالباً تدل على ان سم المرض خفيف جدًّا ولان الفصل الحارّ لا يلائمهُ ونحن على ابواب الصيف. ولعلَّ شدَّة تيقُّظ الحكومة والشعب الى وسائل الوقاية مع ذلك تساعد على استئصال شأفتهِ قبل انقضآء فصل الحرّ ودخول فصل البرد وهو الفصل الذي كان الطاعون يشتدّ فيهِ في هذه البلاد. انتهى

# متفرّقات

حرارة الشمس — حسب علمآء الطبيعة انهُ لو اوقد كل ما في الارض من الفحم دفعةً واحدةً لما زاد على ما تبعثهُ الشمس من الحرارة في عشر ثانية

تقدير عدد الاسماك — قدّر الاستاذ هربرت احد مشاهير علمآء الاسماك ان كل ميل مكعب من مآء البحر يشتمل على ١٢٠ مليوناً من السمك